

مفاهيم القرآن

(47) (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ إِلَهَ إِلَّا الْبَرُّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا) (1) (وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَوَّاهَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ) (2) هذه الآيات كلها تفيد أن الإيمان بالله مزرع في فطرة الإنسان، غاية ما في الأمر أن الإنسان قد يغفل عن ذلك بعض الأحيان بسبب ما يعتريه من سهو ولهو ولذات منسية سريعة الفوت، ولكنَّه سرعان ما يعود بحكم فطرته إلى الله - عندما يواجه الشدائد وتفقد الحياة رتابتها - فهناك لا يرى سوى الله منقذاً ومخلصاً، ولا يرى في غيره ولياً ولا نصيراً. هل الإيمان بوحداية الله فطري أيضاً؟ يعتقد فريق من العلماء أن الآيات المذكورة ناظرة إلى مسألة "فطرية الاعتقاد بوحداية الله" لا إلى مسألة "فطرية الاعتقاد بوجوده تعالى". فقد كتب من هذا الفريق من يقول: لو كانت هذه الآيات تتحدث عن فطرية شيء، فهي إنَّما تتحدث - في الحقيقة - عن فطرية "وحداية الله" لا عن فطرية "أصل وجوده". وذلك لأنَّ هذه الآيات موجهة - أساساً - إلى المشركين الذين كانوا يتخذون مع الله إلهاً أو آلهة أخرى. 1 . الإسراء: 67، 2 . الروم: 33.